AL-ARABI
Al-Arabi: Journal of Teaching Arabic as a Foreign Language
Vol. 4 No. 2 - December 2020
Homepage: http://journal2.um.ac.id/index.php/alarabi
DOI: http://dx.doi.org/10.17977/um056v4i2p130-162

The Bridging Language between Diglossia of Classical and Colloquial Arabic

اللغة التجسيرية بين ازدواجية الفصحى والعامية

Hedaya Hedaya El-Sheikh Ali[1], Ameerah M.A Younes Dana[2]
[1]*Academic Director of Graduate Programs at the American University of Indiana*
[2]*The lecture at Al-Quds University, Jerusalem*

Email: hedayaali11@gmail.com

الملخص: استهدف البحث الحالي تحديد أسباب الازدواجية، مثل: الأمية، وحصر القراءة والكتابة على النخبة، وتشكيل نمط لغوي يمثل الاستقلال والسيادة، وكذلك حصر أهم مشكلات الازدواجية، مثل: ضياع الهوية، وانقراض الفصحى، والتفكك الاجتماعي؛ مما كان سببا في ضرورة إيجاد لغة تجسيرية تقرب الفجوة بين: العامية، والفصحى، مع تحديد ملامح هذه اللغة التجسيرية، وآليات بناء المناهج وإعداد المواد التعليمية واللغوية في ضوء نموذج رباعي للغة التجسيرية اقترحه البحث الحالي؛ بما يساعد على بناء مناهج للغة العربية تقرب بين: العامية، والفصحى، ومن أهم نتائج الدراسة الحالية: أن اللغة التجسيرية تساعد على سهولة تعلم اللغة العربية وعدم شعور المتعلم بالغربة والانفصام اللغوي، كما توصلت الدراسة إلى إمكانية وضع تصور مقترح لبناء مناهج اللغة العربية في ضوء معطيات لغة تجسيرية شائعة ومألوفة على الآذان تسد الفجوة ما بين العامية والفصحى.

الكلمة الرئيسيّة: اللغة التجسيرية؛الازدواجية اللغوية؛ الفصحى؛ العامية

Abstract: The current research aims at identifying the causes of diglossia, such as: illiteracy, limited reading culture and writing for the elite, and forming a language pattern that represents independence and sovereignty. In addition, this research identifies the primary issues of this bridging language, and to find linguistic and social mechanisms for diglossia, such as: loss of identity, classical language extinction, and social disintegration; which leads to generate a bridging language, which closes the gap between: colloquial and classical Arabic, to highlight specific features of building and preparing educational curricula and linguistic materials In the paradigm of a quadruple model flow of the bridging language proposed by this research; to help approximate between classical and colloquial Arabic. Among the most important results of this study: that the bridging language helps to learn, reinforce linguistic and communication retainment and prevent the Arabic language deterioration, The Bridging language evades learner and user sense of alienation, and linguistic schizophrenia. The study also finds the possibility of developing a proposed concept for building Arabic language curricula in light of common and familiar bridging language data which is common and familiar that bridges the gap between colloquial and classical Arabic.

Keywords: *The bridging language; Diglossia; Standard Arabic; Colloquial Arabic*

المقدمة

تُعد اللغة وسيلة التواصل بين الأفراد والمؤسسات المختلفة؛ ولذا فقد أولت الدول عناية فائقة بتعليم لغاتها، وضبطها، وتيسرها على متعلميها من داخل الوطن الناطق بها، وحتى خارج حدود وطنها وانتشارها، فانتشار اللغة خارج أوطانها يعد امتدادا ثقافيا لها، وهيمنة فكرية لصاحب هذه اللغة.

واللغة العربية واحدة من هذه اللغات التي مرت -على تاريخها الطويل- بمراحل امتداد وهيمنة ثقافية خارج حدود الناطقين بها، وما زال هذا الإقبال على تعلمها مشهودا من غير أبنائها، ففي السنوات الأخيرة تزايد الاقبال على تعلم اللغة العربية بشكل كبير، من قبل غير الناطقين بها، وقد يضطر الكثير من غير العرب إلى السفر إلى بعض الدول العربية لتعلم اللغة العربية، حيث ساهمت الأحداث المتسارعة في المنطقة العربية في دفع العديد من الأجانب لتعلمها.

وقد احتلت اللغة العربية المركز الثاني في صف اللغات الأكثر إقبالا من لدن البريطانيين، حيث سطع نجم هذه اللغة سريعا في الثانويات والجامعات، في الوقت الذي هيمنت فيه اللغة الفرنسية على المركز الأول، كما أن الأمريكيين قد ازداد إقبالهم على تعلم العربية بعد أحداث 11 سبتمبر، فلم يعد الاقبال على اللغة العربية في الولايات المتحدة ظاهرة نادرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول التي دفعت بعدد من الأمريكيين إلى محاولة التعرف إلى الثقافة العربية والإسلامية وزيادة معلوماتهم عن كل ما يخص العرب، وأوضحت دراسة أمريكية حديثة أن الإقبال على تعلم اللغة العربية في الجامعات والمعاهد الأمريكية شهد ارتفاعاً ملحوظاً خلال السنوات الماضية بنسبة 46% مقارنة بالعام 2006م.

يعيش على سطح الأرض أكثر من 7 مليارات إنسان يتحدثون 7102 لغة حية. وتحتل اللغة العربية المركز الرابع عالميا من حيث عدد المتكلمين بها كلغة أم، بينما تعتبر ثاني أكثر لغة انتشارا في العالم، من حيث عدد الدول التي تتحدث بها، وتحتل قارة آسيا المركز الأول من حيث عدد اللغات الحية التي توجد بها، إذ تبلغ 2301 لغة، وتليها القارة السمراء (إفريقيا) بفارق ليس كبيرا، حيث يوجد بها 2138 لغة، ثم تأتي منطقة المحيط الهادي بعدد يبلغ 1300 لغة وتليها الأمريكيتان مجتمعتين بـ 1046 لغة. أما أقل القارات من حيث عدد اللغات الحية فهي القارة العجوز (أوروبا)، حيث يبلغ عدد اللغات فيها 286 لغة فقط.

وأما بالنسبة لأكبر اللغات من حيث عدد المتكلمين بها كـ"لغة أم" فتأتي اللغة الصينية (الماندرين) على رأس القائمة، فمن بين سكان الأرض البالغ عددهم 7.2 مليار نسمة، يتكلم اللغة الصينية 1.39 مليار شخص، وتحل في المركز الثاني اللغتان الأردية والهندية، اللتان تنحدران من أصل لغوي واحد في شمال الهند، حيث يتكلمهما 588 مليون شخص، أما الإنكليزية فجاءت في المركز الثالث، حيث يتكلمها -كلغة أم- 527 مليون شخص، وفي المركز الرابع حلت اللغة العربية بـ 467 مليون متحدث بها، أي بزيادة نحو مائة مليون عن اللغة الإسبانية صاحبة المركز الخامس برصيد 389 مليون شخص.

وجاءت اللغة الألمانية في المركز التاسع حيث يتحدثها كلغة أم نحو 132 مليون شخص (قنطرة، 2019).

وأما اللغة التي يتحدثها أكبر عدد من الدول فجاءت اللغة الإنجليزية في المركز الأول حيث تتحدث 101 دولة اللغة الإنجليزية. تليها اللغة العربية حيث يجري الحديث بها في 60 دولة، من بينها 22 فقط أعضاء في الجامعة العربية. فيما تتوزع بقية الدول على قارتي آسيا وإفريقيا، حيث هناك قبائل وجماعات تتحدث العربية في تشاد ومالي والكاميرون مثلا، وغيرها، وحلت اللغة الفرنسية في المركز الثالث برصيد 51 دولة، ثم الصينية بـ33 دولة، وبعدها تأتي اللغة الإسبانية حيث يتحدث بها مواطنون في 31 دولة، تليها اللغة الفارسية التي يجري الحديث بها في 29 دولة، ثم اللغة الألمانية التي يتم التحدث بها في 18 دولة، والشكل التالي يوضح ذلك:

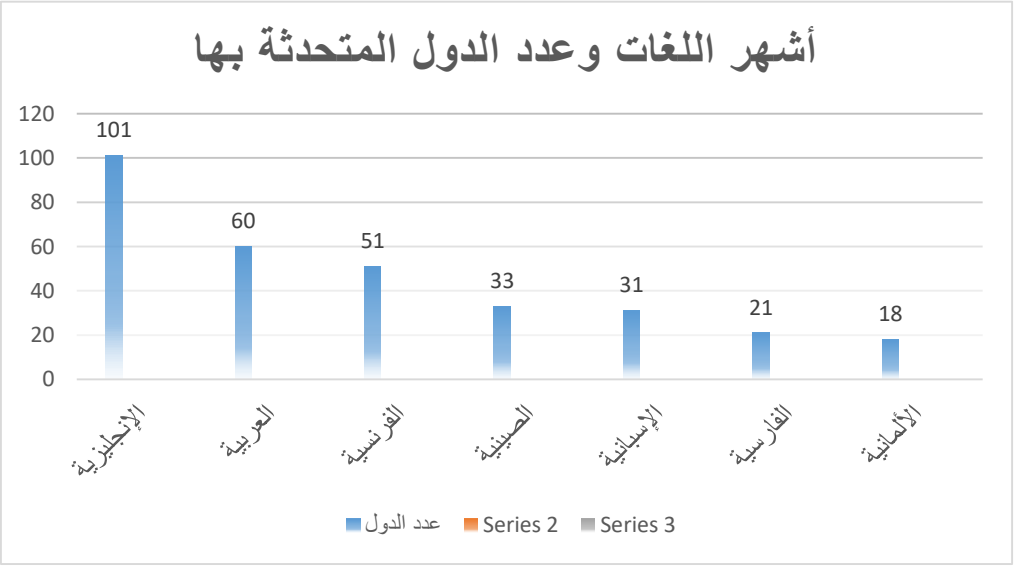

ويتضح مما سبق كثرة عدد المتكلمين باللغة العربية، سواء أكان ذلك على: مستوى الأفراد، أم على مستوى الدول، إلا أن اللغة العربية تواجه مشكلة كبرى، هي مشكلة الازدواجية بين: العامية، والفصحى، حيث تستخدم الفصحى في المؤسسات والمواقف الرسمية، بينما تسيطر العامية على الشارع والمواقف العامة غير الرسمية؛

الأمر الذي يسبب أزمة لمتعلم العربية، حيث يجد نفسه مضطربا بين استخدام هذه وتلك.

وهذه المشكلة بذاتها هي التي دفعت الباحثَينِ إلى فكرة البحث الحالي، وذلك في محاولة لتحديد أبعاد هذه المشكلة، وبيان أسبابها، وتقديم بعض الحلول المقترحة لإيجاد لغة تجسيرية تقرب الفجوة ما بين: العامية، والفصحى؛ لتكون نواة انطلاق في بناء المناهج والمواد التعليمية المقدَّمة لمتعلمي اللغة العربية؛ بما ييسرها على المتعلمين، ويقربها من لغة الحياة، ويزيد من الإقبال على تعلمها، ويمكنها من مواكبة الحداثة، ومسايرة ركب الحياة والتطور.

مظاهر الازدواجية اللغوية وأسبابها:

هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى ظهور الازدواجية، ومنها حصر التعليم والقراءة في فئة معينة من المجتمع، والذي أدّى بدوره إلى ارتفاع نسبة الأمية فيه، وقد ساهم نفوذ القوى الاستعمارية على فرض لغتها التي اعتمدتها في بعض البلدان التي استعمرتها كلغة اولى. كما وأن حاجة بعض المناطق للهجة مشتركة لتسهيل التواصل أدى إلى تعزيز وجودها أيضاً.

وعلى هذا تتحدد أسباب الازدواجية فيما يلي:

- الأمية وحصر القراءة والكتابة على النخبة.
- الاتجاه نحو مزيد من الاتصالات بين الأقاليم والطبقات.
- الاتجاه نحو تشكيل نمط لغوي يمثل الاستقلال والسيادة (Ferguson, 1959)

ويمكن أن يضاف سبب رابع للازدواجية، ألا وهو الغزو الاستعماري وما يخلفه من تبعات على الثقافة والفكر العربي؛ إذ تعاني كل دولة عربية تم استعمارها أو غزوها من صراع ثقافي لغوي يتضمن النزاع على تراثها المتمثل باللغة العربية الفصحى، ومواكبة اللغة الهجينة التي تولدت من فرض اللغة الأجنبية كلغة أولى في البلد نفسه، فتتشعب

اللغة وتولد لغه هجينة ومتمايزة تعكس رغبة هذه المجموعة في الحفاظ على إرثها ومواكبتها للغة الدخيلة والمفروضة عليها.

ولهذا يترتب على الغزو تداعيات خطيرة على اللغة والمجتمع والثقافة والفكر والاقتصاد والحدود والسياسة، وهو أمر خارجي يُفرض عبر وسائل مختلفة عنيفة في معظم الأحيان، في عصر فقد العرب فيه مكانتهم وفاعليتهم وحضورهم؛ حيث قُسمت الأمة العربية إلى دول عديدة، لكل دولة حدودها وقيودها، ولها سياساتها واقتصادها وعلاقاتها الخاصة، وقد أدى هذا الانقسام إلى انفصام وحدتها الفكرية والمشاعرية واللغوية، ناهيك عن الشرخ الكبير الذي قد يخلفه الغزو في هذه المجتمعات المكونة لهذه الدول، والتباين الكبير الذي يتزايد مع الزمن، فينتج حالة من التمايز العرقي والشعوبي، حيث تصبح كل دولة -حسب نظامها الخاص- ذات شعب يتمايز بعاداته وتقاليده؛ الذي يفضي بدوره إلى خلق نظام لغوي متمايز أيضا، قد يعصف هنا أو هناك، في هذا المجتمع أو ذاك، باللغة نفسها، فتبدو العاميات دالة تمايز مشاعري وعرقي؛ مما يظهر كل شخص في دولته متمايزا عن شقيقه في دولة أخرى، فالجزائري يختلف عن العراقي، والأردني يختلف عن اليمني... وهكذا (المصري وأبو حسن، 2014).

ويمكن توضيح أسباب ظهور الازدواجية من خلال الشكل التالي:

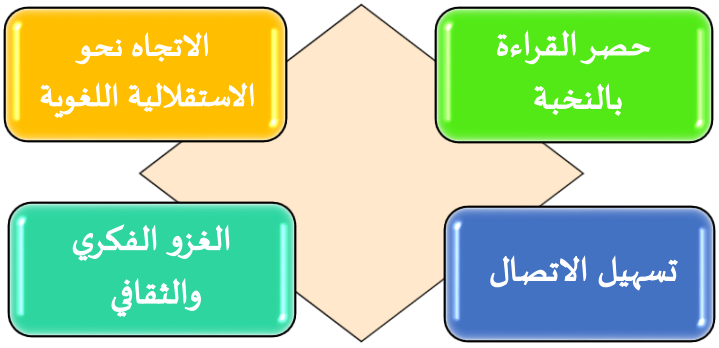

شكل رقم (1): أسباب ظهور الازدواجية بين العامية والفصحى

وقد أدت هذه الأسباب -سالفة الذكر- إلى خلق تنوع لغوي، وظهور نمطين أو أكثر من المنتجات اللغوية، ومن أبرزها النمط العالي ويرمز إليه بالنمط العالي (H)، والنمط المنخفض ويرمز إليه بالنمط المنخفض (L)، ولأن الازدواجية صراع بين تنوعين

لغويين للسان واحد، أوجد ما عرف بالفصحى والعامية، وهو ما استلزم -فيما بعد- وجود مظهرين لغويين: الأول هو الكتابة أو الرسم أو الصورة، والآخر هو التلفظ أوالصوت أو المشافهة، فقد أخذت الازدواجية تبعا لذلك شكلين لتداولهما، هما: الرسم والكتابة للمستوى الفصيح، والتلفظ والمشافهة لمستوى العامية.

واللغة العربية واحدة من أكثر اللغات التي تظهر فيها الازدواجية اللغوية ضمن هذين التنوعين، فتبدو في شكلين مختلفين؛ الأول هو لغة أدبية مكتوبة، أو لغة قياسية أو كلاسيكية، وهي حاليا لغة الأعمال الأدبية والعلمية والمقالات العلمية والوثائق القانونية، لكنها لغة غير متداولة كثيرا في إطار لغة الحديث أو الخطاب اليومي إلا في نطاق ضيق، أما الشكل الثاني هو لغة شفهية، وهي التي تشكل لغة المحادثات، وتستعمل في كل الأمكنة العامة تقريبا، وهي ليست مكتوبة (المصري وأبو حسن، 2014).

ويرى "فرغسون" أن الازدواج اللغوي لا يظهر أو ينشأ في مجتمع بعينه إلا بتوافر ثلاثة شروط:

- ❖ الأول- توافر مادة أدبية كبيرة بلغة ذات صلة وثيقة باللغة الأصلية للمجتمع (الفصحى)، تمثل جزءا مهما من قيم المجتمع الأساسية.
- ❖ الثاني- اقتصار الكتابة (literacy)على نخبة قليلة في المجتمع.
- ❖ الثالث: مرور فترة زمنية طويلة قدرت بقرون عديدة على توافر الشرطين السابقين (Ferguson, 1959)

ومن خلال تتبع التاريخ يمكننا التأكيد على توافر الشروط السابقة والتي أثمرت عن ازدواجيات لغوية على مر العصور في مختلف اصقاع الأرض، ويمكن الادعاء بسهولة أن هذه الشروط الثلاثة توافرت مئات المرات في الماضي، ونتج عنها في كل مرة ازدواج لغوي، وعلى وفق ذلك يمكن القول بأن الازدواج اللغوي في العربية قد ظهر مرات عديدة عبر عصورها المختلفة، وعلى امتداد مراحل تطورها؛ إذ لا يعقل أن العرب جميعا على اختلاف قبائلهم ومشاربهم وتنوعاتهم السكانية واللسانية واللهجية، قد تكلموا - جميعا -لسانا مشتركا واحدا، إذ المعروف أن هذا اللسان المشترك قد بدأ يتشكل قبل مائتي

سنة من البعثة النبوية على أبعد تقدير، ولم يكن -بالرغم من رقيه وعلوه وروعة بيانه- سائغا أو ميسورا لكل العرب، فهو خطاب الفصحاء والبلغاء منهم فقط، والشعراء على وجه الخصوص، ولم يكن هذا اللسان المشترك دافعا قويا لترك لهجاتهم المختلفة أو هجر ألسنتهم المتباينة، فما وصلنا من لهجاتهم -وهي كثيرة ومختلفة ومتنوعة- خير دليل على أنهم لم يصطنعوا هذا اللسان المشترك الذي شكل لغة الشعر لديهم ولغة التنزيل لاحقاً إلا في المناسبات، وخاصة في موسم الحج، وعلى ألسنة شعرائهم وبلغائهم وأشرافهم (كايد، 2002؛ العقود، 1997).

ويرى الباحثان أن الازدواجية اللغوية لا تتحقق إلا بتوافر أربعة شروط، هي:

- ❖ أولاً: توافر رصيد أدبي كبير (اللغة العربية الفصحى)، ونظراً لضخامتها وسعتها؛ فإنه يتم استبدال أو إحلال جزء منها بالتنوع اللغوي ذي النمط المنخفض (L)، وذلك للأسباب التي تم ذكرها.
- ❖ ثانياً: انخفاض نسبة التعليم وارتفاع الأمية التي تؤدي إلى حصر القراءة بالنمط المرتفع (H) على فئة معينة في المجتمع، مع استخدام العوام للنمط المنخفض؛ وذلك لسهولته وسلاسته وابتعاده عن القواعد النحوية المتبعة في نمط اللغة العالي.
- ❖ ثالثا: التثاقف واختلاط الجنسيات، فقد أدت العولمة إلى جعل العالم قرية صغيرة، فوجودك في بلدك لا يمنع أن تستمع لشخص يتحدث باللهجة اللبنانية على قناة LBC أو أخر على قناة النيل يتحدث اللهجة المصرية، وبالتالي فإن التعددية اللغوية خلقت كلمات مولدة جديدة، وأجبرت العديد إلى استبدال مفردات من اللغة الفصحى باللهجات الأخرى؛ وذلك لخلق التواصل في زمن السرعة.
- ❖ رابعا: التقادم ومرور فترة زمنية تتوافر بها الشروط السابقة.

ويمكن توضيح شروط ظهور الازدواجية من خلال الشكل التالي:

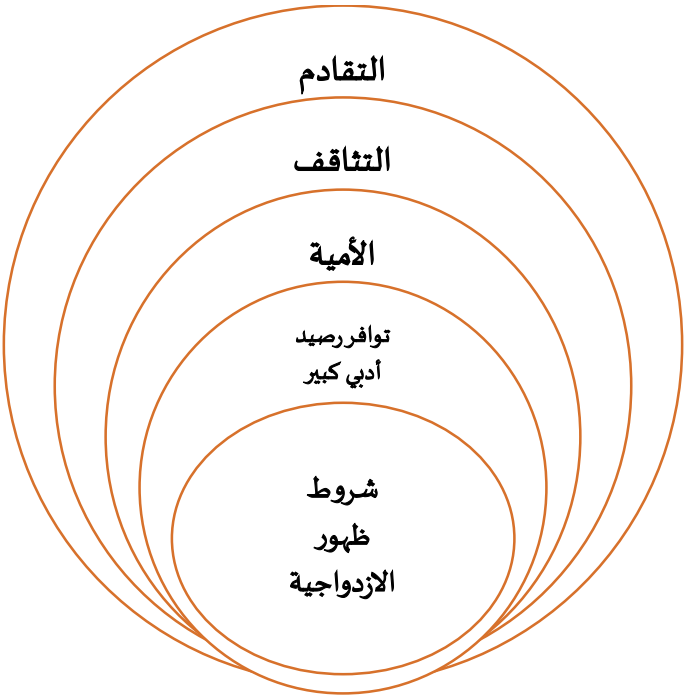

شكل رقم (2): شروط ظهور الازدواجية

ورغم ما سبق ورغم مرور مئات السنين على وجود اللغة العربية الفصحى إلا إنها استطاعت الحفاظ على مرجعيتها وأصالتها، فكانت ولا زالت القبلة الأولى لكبار الكتاب والمفكرين والأدباء والمتعلمين على كل الأصعدة العلمية ومن كافة الخلفيات؛ وذلك لأنها لغة القرآن الكريم، ولغة الأدب والشعر القديم.

فقد ظلت العربية الفصحى هي اللغة التي يصطنعها الأدباء والكتاب والشعراء والعلماء والطلاب والمتعلمون في شتى أجناس المعارف والعلوم؛ وذلك نظرا لكونها لغة الشعر القديم: جاهليه، وإسلاميه، ولغة التراث، وفوق ذلك كله، فهي لغة القرآن الكريم الذي يرجع الفضل إليه في حفظ العربية الفصحى من التطور السلبي أو التشظي والانقسام.

وكونها لغة الشعر القديم، ولغة القرآن الكريم، فهي تشكل بهذا الازدواج المشاعري والفكري، مهادا فكريا ونفسيا ومشاعريا لكل الناطقين بها، الأمر الذي صَعَّب عملية تحوّلها أو التحول عنها، وجعل انحرافها أو تشظيها أمرا مستحيلاً، إلا أن ذلك

كله لم لكن يكن مانعا حصينا لمزاحمة العامية، وتسلطها على لغة الكلام، وهو أمر بدا طبعيا يخضع . في كثير من جوانبه . لطبيعة التطورات والخطاب اليومي التي تؤثر في عقلية المجتمع ولغته والتداولات والتداخلات والتشابكات التي لا تنفك تؤثر في عقلية المجتمع ولغته وخطابه، ولعل سعة انتشار اللغة يقف وراء هذا التفرع والازدواج (المصري وأبو حسن، 2014).

مشاكل الازدواجية:

تنشأ الازدواجية عن ظهور نمط منخفض للغة أصيلة ذات نمط مرتفع تحت ظروف معينة، ويعتقد الكثير أن الازدواجية تشكل خطرا كبيرا في البلدان العربية، وذلك يعود إلى استخدام النمط المنخفض (العامية) وتفضيلها على العربية الفصحى في جل الاستخدامات والمحادثات اليومية وفي المعاملات الرسمية، ويرى البعض أن العاميات أصبحت تشكل عائقا للفهم ليس فقط بين الشعوب والدول المختلفة، بل وبين أفراد الشعب في القطر الواحد.

وترجع مشكلة الازدواجية اللغوية في البلدان العربية إلى المشكلة اللغوية نفسها، وهي مشكلة تشكل مخاطر كثيرة على العربية الفصحى؛ ذلك أن العرب اليوم لا يتكلمون العربية الفصحى، فالعامية هي الدارجة على ألسنتهم، والمستخدمة في جلّ محادثاتهم وحواراتهم ، وهي المتداولة فيما بينهم وفي نواديهم ومحافلهم، والعامية نفسها ليست واحدة، وإنما هي عاميات متعددة، ففي كل قطر أو بلد ثمة عامية، أوربما عاميات متعددة أيضا، حتى ليصعب على الشامي أن يفهم اليمني بوضوح، وقد يتعذر على العراقي فهم التونسي أو المغربي، بل إن أبناء القطرالواحد قد يجدون صعوبة في فهم بعضهم بعضا حيث يكاد يصعب على العربي في شمال العراق . كما يقول السامرائي فهم قروي من الأهواز في جنوب العراق (المصري وأبو حسن، 2014).

وقد ازداد اهتمام أبناء اللغة الفصحى بظاهرة الازدواجية؛ وذلك لتغلغل اللغة العامية، وتجاوز استخدامها من الحياة اليومية الى كافة مناحي الحياة والذي قد يهدد العربية الفصحى، بل وقد يتعدى الى تلاشي الفصحى وإحلال العامية مكانها.

فهذه الازدواجية التي نعيشها اليوم، هي – زمنياً- تشكل نمطاً جديداً للازدواجية اللغوية، تختلف عن سابقاتها بطغيان العامية فيها على الفصحى، وتسلطها عليها بقوة حتى غدت الأكثر تداولاً في مختلف المحافل والمناحي والمجالات، وحتى غدت الأكثر انتشاراً والأوسع تأثيراً والأبلغ استخداماً في معظم المعارف والعلوم، إلى الحد الذي راحت تشكل معه خطرا حقيقيا على الفصحى؛ الأمر الذي استدعى هذا النفير لتحرير الفصحى وإنقاذها وحمايتها من التلاشي والاضمحلال (المصري وأبو حسن، 2014).

فلذلك يرى الباحثان أن الازدواجية تؤدي الى العديد من العواقب والنتائج السلبية كما يبينها الشكل التالي:

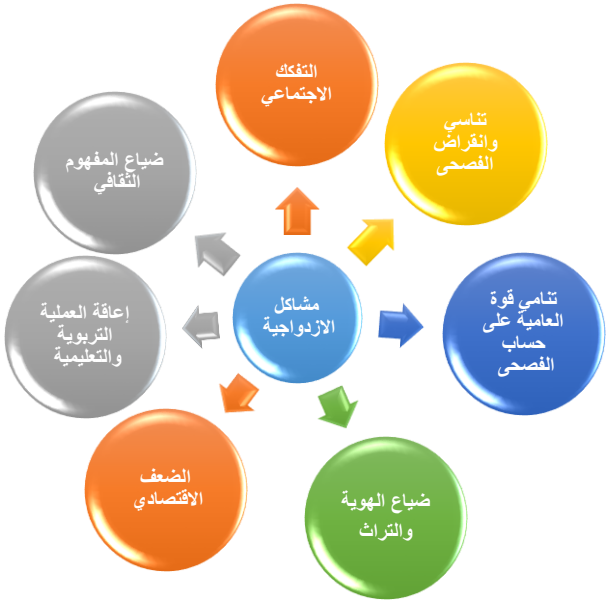

شكل رقم (3): مشاكل الازدواجية

ويمكن تناول هذا الشكل بالتحليل والتفصيل كما يلي:

1. **التفكك المجتمعي**

عادة ما يكون هناك علاقة وثيقة بين: ثقافة البلد، ولغتها؛ إذ تستمد اللغة معناها من ثقافتها وتراثها، واذا ماأصاب هذه اللغة البلاء أو الخلل فإن هذا سينعكس

سلبا على وحدة الأمة وترابطها وفهمها وفهم الأجيال القادمة لدينها وتراثها، وذلك بفعل التداخلات التي طرأت على اللغة وخلقت هذه الازدواجية اللغوية، وبما أن اللغة العربية تعد واحدة من أهم اللغات التي تعكس الثقافة والدين والتراث الإسلامي، فإن تأثرها بالازدواجية اللغوية سينعكس على المجتمع الذي ستتواجد به الازدواجية، وسيفكك النسيج المجتمعي الواحد، وسيلقي بوحدة وتماسك وتآلف الأمة الواحدة الى التهلكة، كما وبإمكانه أن يؤدي إلى ضياع الهوية والدين والثقافة.

وإن تكن الازدواجية وبشكل موضوعي أداة بارعة للضرورة والاحتياج إليها أحيانا، فإنها من وجهة النظر الاقتصادية والتماسك القومي وفعالية التعليم والاتصالات وأجهزة الإعلام لعائق كبير، بالإضافة إلى ذلك: إذا اعتبرنا أن وظيفة اللغة ليست للاتصال وحسب؛ بل تخدم احتياجات الشخص والمجتمع: العاطفية، والمعرفية، والنفسية، فإن وجود الازدواجية فى الجماعة اللغوية لذو آثار محدّدة، بل معقدة لقوتها التعبيرية، فالازدواجية رمز وتذكرة للصر اع الاجتماعي ونقص التماسك الاجتماعي (الزغول، 1980).

2. تناسي وانقراض الفصحى

إن وجود الازدواجية يشتت العربية بين العامية المنطوقة وبين الفصحى المكتوبة، فمثلا في الحياة اليومية ترى الطفل يجد صعوبة بين قراءة الدرس من جهة والتعبير عنه من جهة أخرى، ويجد الشخص فجوة بين: قراءة المتطلبات الشرائية للبيت بالفصحى، والواقع الذي يفرض عليه استخدام العامية لشرائها؛ مما يزيد من اتساع الفجوة بين المستويين وانحدار الفصحى لاستبدالها بالعامية المحكية، وقد يجد الأشخاص صعوبة في التنقل بين الفصحى المكتوبة والعامية للتحدث؛ فيلجأ أكثرهم إلى استبدال الفصحى بالعامية والانحياز لها؛ مما قد يؤدي إلى تناسي الفصحى وتجنبها في الحياة اليومية، وربما إلى استبعادها وتناسيها؛ مما قد يؤدي إلى انقراضها.

وإذا كانت الازدواجية تعني وجود مستويين للغة الواحدة: أحدهما مستوى اللغة الفصيحة الذي يُستخدم في المناسبات الرسمية والكتابة الأدبية والتعليم، والآخر مستوى اللغة العامية أو اللهجات الدارجة الذي يستعمل في الحياة اليومية، أقول: إذا

كان هذا هو حد الازدواجية وحالها، فإنها بهذا المعنى، تشكل شرخا في مكونات عملية التداول اللغوي اليومي، فتجعل الكتابة -بصفتها مظهرا لغويا- طريق الفصحى وميدانها، وتجعل المشافهة والحوار والتداول الخطابي -بصفته المظهر اللغوي الآخر- طريق العامية وسبيلها، وكلما كان البون شاسعآ بين المظهرين أو المستويين، كان الشرخ كبيرا، وهو شرخ يصب في غير مصلحة الفصحى، ويترتب عليه تباعد عنها قد يفضي إلى الجفوة والنسيان، وربما الانقراض (المصري وأبو حسن، 2014).

3. تآكل الفصحى وطغيان العامية:

وفي خضم هذا التأرجح بين العامية والفصحى نلاحظ التحيز لاستخدام العامية على حساب اللغة العربية الفصحى، والتي تتشتت شيئا فشيئا لدرجة قد تصل الى استبدال اللغة الفصحى بالعامية، فعلى سبيل المثال كانت الفصحى تستخدام في الخطب الدينية والمحافل السياسية قديما ولكننا مؤخرا نلاحظ دخول الكلمات العامية التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من هذه الخطابات الإعلامية والدينية والمحافل السياسية، والتي تجعل العامية تطغى بنفوذها على الفصحى، بل والخيار الوحيد المتبقي للتفاهم بين أبناء اللغة الواحدة.

قد يبدو الحديث عن الازدواجية بوصفها مشكلة متعددة الجوانب والوجوه، أمرا مبالغا فيه، وذلك نظرا لكونها تمثل حالة لغوية طبيعية وعفوية تبعا لتفاوت الناطقين باللغة ثقافياً وفكرياً وإبداعياً وتاريخياً، لكنها تعكس – وخاصة في أيامنا هذه –تفاوتاً حاداً يشكل حالة انقلابية خطيرة، تصل حد التحول أو الاستبدال، وفي ذلك تكمن خطورة الازدواج الذي يكاد يعصف بالفصحى، كونه يشكل انحرافا عنها، وانحيازا إلى العامية، انحيازا تتزايد وتيرته مع الزمن حتى تصبح العامية هي المتغلبة، والخيار الوحيد المتبقي (المصري وأبو حسن، 2014).

وتعد العولمة من اهم أسباب تآكل اللغة الفصحى، كما وساهم اتساع نطاق الاتصالات بالإضافة للانغماس الثقافي وخصوصا مع الدول الغربية في بروز الازدواجية، وليس ذلك فقط، بل وشتت اللغة العربية الفصحى؛ فأصبحت تائهة بين المصطلحات الغربية المتداولة والكلمات المعربة المتعارف عليها، والمفاهيم الغربية التي يتداولها المعظم

والتي لا نستطيع الاستعاضة بنظائرها عربية الأصل، وقد أدى كل هذا إلى ضعف التعبير الشفوي والذي أعاق استخدام اللغة الفصحى في عمل وسائل الإعلام وأجهزة الاتصال، بل وانحازت للعامية على حساب الفصحى.

4. ضياع الهُوية والتراث:

تعتبر اللغة عاملاً أساسياً يُستدل به على ثقافة وهوية البلد، وقد يعتبر البعض أن الازدواجية لا تشكل خطراً فقط على اللغة بل وعلى الفرد والجماعة والمجتمع، والذي قد يؤثر في مناحي الحياة الثقافية والفكرية، وذلك لأن اللغة ترتبط بالفكر والهوية والحضارة، وأي مساس بها قد ينعكس سلبا على ثقافتها وفكرها، والتحيز للغة العامية بل ومحاولة دمجها مع اللغة الفحى قد يعد غزوا ثقافيا وفكريا قد يؤدي الى ضياع وتمزق الثقافة التي تستند على اللغة الفصحى، لغة الإسلام وأداة الوحدة بين أبناء الوطن الواحد، ويوضح الكاتب ذلك بأنه:

تتعدد وجوه المشكلة وتتنوع بما تتركه من تداعيات سلبية وخطيرة وآثار سيئة ومدمرة في مختلف المجالات وعلى جميع المستويات: الفردية، والجماعية، والمجتمعية، فخطر الازدواج اللغوي لا يقتصر على اللغة وحدها، بل يتجاوزها إلى كل مناحي الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والسياسية والقومية والتراثية، وذلك نظرا لكون اللغة تشكل المهاد النفسي والقومي والمشاعري والثقافي والفكري للناطقين بها، والفصحى تحديدا هي لغة الدين والعلم هي الامتداد الثقافي والفكري والحضاري، وقد شكلت على الدوام رمزا لوحدة أمتنا، وأداة لتواصلنا وتآلفنا، وإحلال العامية محلها سيعمل على تفتيت هذه الوحدة وتمزيق هذا الرباط التآلفي والتعارفي، وسيجعل من الأمة أمما شتى، وأقواما متفرقين.

إن إقصاء الفصحى يشكل نذيرا لانهيار كل منجزات الأمة وتفتيتاً لوحدتها، حيث تبذل جهوداً كبيرة ومتواصلة لمنع هذا الانهيار والتفتت، ولكن النتيجة لن تكون لمصلحة الوحدة ما لم تكن لمصلحة الفصحى (المصري وأبو حسن، 2014).

5. الضعف الاقتصادي:

تسهم اللغة وبشكل فعال في تحريك العجلة الاقتصادية أو اندثارها في أي بلد؛ ولهذا عملت أوروبا في الفترة الاصلاحية في ألمانيا -بعد انتشار آلات الطباعة- على نشر الكتب التمهيدية وكتب الاملاءالتي تلح على استخدام اللغة لموحدة، والتي استندت على توحيد اللغات العامية وجمعها بلغة واحدة تلتزم بقواعدوأنظمة، وجعلها لغة التدريس والتعلم وقد زاد هذا من زيادة المبيعات في الأسواق بل وزادت رقعة السوق، وظهرت أشكال من التجارة لم تكن موجودة سابقا، مع زيادة متناسقة في استخدام هذه اللغة المشتركة واستخدامها وانتشارها.

وقد التقت الأهداف الإصلاحية وأهداف أصحاب التكنولوجيا الجديدة في جوانب مهمة، فالطرفان كان لهما مصلحة أساسية في توسيع السوق، فوصول الكتيبات إلى عدد أكبر من الناس كان مفيدا في الصراع الأيديولوجي، واستخداما مربحا أكثر في الوقت ذاته للآلات الميكانيكية؛ لذلك لم يكن مصادفة أن حركة الإصلاح قد جاءت معها بنشر كثير من الكتب التمهيدية وكتب الإملاء التي تلح على توحيد اللغة المكتوبة، والأمران معا كانا في توافق مع زيادة المبيعات.

وبهذا الشكل فإن مطالب السوق قد أدت إلى التوسيع التدريجي لنطاق اللغات المستعملة في الطباعة، وبناء على ما أصبح يعرف بـ «لغة الناشرين»، فقد تشكل نوع من القواعد كان صالحا للغة الألمانية -على سبيل المثال- جاعلا إياها قابلة للتعلم والتدريس بمساعدة قواعد Rules يمكن التثبت منها، ومن هنا يبدو انتشار اللغات الناشئة المشتركة والموحدة التي أقيمت على تنوعات لغات عامية، بوصفه نتيجة لتوافق المصالح الأيديولوجية مع المصالح الاقتصادية، وفي الوقت نفسه فإن هذا الانتشار قد خلق أوضاعا مواتية بصورة متزايدة لتحقيق هذه المصالح، وقد اتسعت السوق نفسها، وبشكل خاص السوق المحلية، حيث ظهرت للوجود أشكال من التجارة لم تكن معروفة في العصور الوسطى (كولماس، 2000).

وبالتالي فإننا نرى أن خلق لغة مشتركة ساهم في ارتقاء الاقتصاد؛ حيث إنه أصبح هناك فهم مشترك بين الأشخاص، والذي سهل من عمليات البيع والشراء والتسويق أيضاً، والذي رفع وزاد في تطور الجوانب الاقتصادية، أما وجود فجوة كبيرة

بين الفصحى والعامية، بالإضافة إلى وجود العديد من العاميات؛ فإن ذلك يؤثر سلبا على الاقتصاد، ويقلل من ترابط السوق؛ بسبب عدم وجود لغة محددة يُخاطب بها عملاء السوق، وكثيرا ما يحدث تضارب في الفهم أحيانا؛ لأن بعض العملاء يفهم اللغة المنخفضة (L)، ولا يفهم اللغة المرتفعة (H)، والعكس صحيح؛ مما يضعف فرص إيجاد لغة مشتركة تساعد على الترويج للمنتجات الاقتصادية.

6. اختلال المفهوم الثقافي:

ترتبط اللغة ارتباطاً وثيقاً بالثقافة؛ إذ تولد اللغة من رحم الثقافة، بل وتعتبر العنصر الأساسي في التركيبة الثقافية؛ لأنها تعتبر أساس التواصل بين: أهل هذه الثقافة، وأداة الفهم والاكتساب القيمي والمعرفي.

وتعتبر الازدواجية خطراً على ثقافة الأمة؛ إذ تخلق هُوة بين: اللغة الأصلية التي تأسست عليها الثقافة من جهة، والثقافة نفسها؛ حيث ستخلق شرخاً بين أبناء الثقافة الواحدة، وخصوصاً إذا ما كان هناك تحيزاً للغة البديلة على حساب لغة الأم الأصلية التي بنيت عليها هذه الثقافة، وقد يبدو من الوهلة الأولى أن الازدواجية اللغوية هي تدعيم للثقافة وإثراء لها، وهذا من الناحية الصورية صحيح، ولكن من الوجهة الواقعية نرى أن الاختلال الحاصل على نطاق عريض يجعل من هذه الازدواجية المزعومة أداة هدم لا بناء، ولا سيما في حالة عدم حصول توازن من حيث الإجادة والاتقان للُّغة الأم، ففي هذه الحالة تُحدث الازدواجية صراعاً خطيراً قد يؤدي إلى الانفصام الثقافي أو الانسلاخ الثقافي مثلما هو حاصل في بعض الأقطار المغاربية (إسلام ويب، 2005).

وحيث إن الازدواجية تؤثر في الثقافة فإنها لامحالة ستؤثر في تطور وارتقاء ثقافة البلد ودخولها في دائرة التقدم على كافة المستويات، ذلك أنها تسهم في تشويه وتحريف وربما ضياع اللغة الأصيلة التي يرتكز عليها تاريخ وثقافة البلد الواحد.

إن الازدواج يشكل باستمرار أزمة لغوية ومعضلة فكرية حقيقية، فلم يعد خافيا ولا منكرا أن الازدواجية مشكلة حقيقية تحول دون الدخول في دائرة الحداثة؛ كونها تشتت الجهد وتشوش التفكير وتعيق عملية التواصل الحقيقية بكل مستوياتها: الفكرية،

والاجتماعية والعلمية، والفنية، والشعورية (المصري وأبو حسن، 2014). كما يؤدي الانسلاخ عن اللغة الأصلية والابتعاد عنها انسلاخاً عن القيم الثقافية والجهود التربوية والتعليمية للأمة وأبناء البلد الواحد؛ وبالتالي فإن الأجيال الناشئة تنشأ في معزل عن أي تطور حضاري يرقى بها أو بثقافتها، بل على العكس من ذلك فإنها تنحدر بالجهود الفكرية والتعليمية والتربوية.

فالازدواج سبب رئيس في تصدع النبتة الثقافية لأمتنا، وهو المسؤول عن هذا التبديد القاتل لكل الجهود التربوية، إنه عد ولكل تطور فكري أو حضاري (كايد، 2002). وقد بالغ البعض؛ وذلك بالربط بين: الازدواجية، وطبيعة العقلية العربية؛ حيث وصفها بأنها تعتمد على الكم لا الكيف، كما تتسم بالانفصام في الشخصية؛ إذ ربطها الكاتب اليهودي "رفائيل باتاي" في كتابه العقل العربي بالهامشية وانفصام الشخصية، كما ربط بين اللغة العربية والكذب والاهتمام بالكم وتبرير العنف ...إلخ (الزغول، 1980)، إلا أن الازدواجية هي تطور طبعي للغة في اي مجتمع تحت وجود ظروف معينة، ويمكن أن يحدث هذا في أي بلد من البلدان، كما أن هذا الاتهام يتناقض مع الحضارة العربية الإسلامية السامقة التي أبدعتها العقلية العربية التي يتجنى عليها هؤلاء الناس بهذا الكلام المفرط في العنصرية، كما أنه تناسى الآثار السلبية التي أحدثتها الإمبيريالية الاستعمارية التي أحدثها الغرب في العالم العربي.

حلول الازدواجية:

حدد كل من عباس المصري وعماد أبو حسن (2014) ثلاثة اتجاهات كحلول لتجاوز ظاهرة الازدواجية، هي:

- التسليم بالازدواجية .
- التوحد، ويعني اعتماد الفصحى فقط، أو العامية فقط، أولغة أخرى أجنبية.
- التقريب بين العامية والفصحى.

ويضيف الباحثان حلا رابعا، ألا وهو التجسير، ويمكن التعبير عن هذه الحلول بالشكل التالي:

شكل رقم (4): حلول الازدواجية

ويمكن تناول هذه الحلول بشيء من التفصيل فيما يلي:

- أولاً- **التسليم بالازدواجية: وذلك** كما هو مطبق في معظم الدول حاليا، واعتبارها اللغة المتداولة اليومية، وهذا ما سيؤدي الى المشاكل التي ذكرت أعلاه، وعلى هذا فإن هذا التوجه لا يعتبر حلا بقدر ما هو تسليم بالواقع.
- ثانياً- **التوحد:** وهو اعتماد اللغة العربية الفصحى فقط، وتجاهل وجود لغة عامية مستخدمة من قبل شرائح المجتمع المختلفة، أو اعتماد اللغة العامية فقط دون اهتمام بالفصحى.
- ثالثاً- **التقريب:** يقضي التقريب بين العامية والفصحى أن تتنازل العامية عن الكلمات الدخيلة التي ليس لها أصول فصيحة، وأن تتنازل الفصحى عن بعض خصائصها لتقترب من العامية، بحيث يكون للفصحى اليد العليا في هذا السياق واعتبارها المرجع والأساس.
- رابعاً- **التجسير:** وهو الارتقاء بالعامية والأخذ بيدها في محاولة للوصول الى أساس مشترك يجمعها بالفصحى، حيث يتم اعتماد التراكيب والمفردات المشتركة لتشكل مهاداً لعملية التواصل ويتم اعتماد خصائص اللغة العربية الفصحى

كأساس فيها، كما ويتم استثناء الكلمات الدخيلة والتي تؤدي الى اتساع الفجوة بين اللغتين واستبدالها بالكلمات من أصول عربية.

فالتجسير يعني سد الفجوة الموجودة بين العامية والفصحى من خلال لغة تجمع بينهما وذلك من خلال الانطلاق من المشترك اللفظي بين: العامية، والفصحى، وسيتم تناول اللغة التجسيرية بالتوضيح والتفصيل في النقاط التالية:

ما المقصود باللغة التجسيرية؟

هي لغة ثالثة وجدت لسد الفجوة الناجمة عن التباعد بين اللغتين: الفصحى والمعروفة بالنمط المرتفع (H)، واللغة العامية أو المحكية والمعروفة بالنمط المنخفض (L)، والتي تؤدي بالتالي إلى مشاكل في التواصل وعدم القدرة على الفهم، ليس فقط بين أفراد البلد الواحد على الصعيد المحلي، بل وعلى الصعيد الإقليمي أيضاً.

وقد تؤدي هذه الفجوة في بعض الأحيان إلى حدوث الانفصام اللغوي الذي يؤدي إلى طمس التراث الثقافي اللغوي، وجعل اليد العليا للغة العامية على حساب الفصحى بحجة عدم قدرة الأجيال الجديدة على استيعاب اللغة العربية القديمة (الفصحى)، وذلك باعتقادهم أن اللغة العربية الفصحى ليس لديها القدرة على مواكبة التطورات الجديدة؛ بسبب الواقع اللغوي المعاصر والذي يعاني من تمييع اللفظ والمعنى معاً (موسى، 2010).

وهنا تكمن أهمية اللغة التجسيرية؛ إذ أنها لغة فصيحة تتألف من لهجة تقريبية يفهمها الكل (M)، تعتمد أساساً على لغة الإعلام واللغة المتداولة الشائعة، والتي قد تمتد لتصبح اللغة الإقليمية المشتركة، وذلك على صعيدين:

أ. **الصعيد المحلي**: حيث تساهم اللغة التجسيرية في التواصل بين طبقات الناس المختلفة في البلد الواحد ذات التراث اللغوي والثقافي المشترك، والذي قد يختلف أحيانا بسبب التباعد الجغرافي والاختلاف الديموغرافي بين أبناء البلد الواحد؛ حيث يصبح من السهل التعامل بين الطبقة العليا (طبقة المثقفين) والطبقة الدنيا (غير المثقفين)؛ وهذا قد يؤدي الى تسهيل التعامل بينهم في

المواقف الحياتية واليومية، كالبيع والشراء وفهم النشرات الإخبارية التي تعرض على التلفاز.

ب. **الصعيد الإقليمي**: حيث سيكون هناك تفاهماً مشتركاً من منطقة إقليمية إلى أخرى على صعيد الوطن العربي وحتى على الصعيد الدولي- العرب المغتربين أو الأجانب المهتمين بتعلم اللغة العربية- والتي قد تشترك في التراث الثقافي واللغوي وقد لا تشترك.

ومن هنا يرى الباحثان أن اللغة التجسيرية ستمد جسراً يستطيع الأفراد من خلاله الوصول إلى الفهم اللغوي المشترك، وخلق لغة إقليمية مشتركة يفهمها كل من يتحدث بها أو يستمع إليها، وقد عرفت هذه اللغة الإقليمية المشتركة أو اللنجوافرنكا (Lingua franca) بأنها:

- عرفها قاموس ميريام ويبسترز بأنها: هي اللغة المستخدمة كلغة مشتركة أو لغة تجارية بين الشعوب ذات اللغات المتنوعة (Merriam-Webster, 2020).
- وعرفها قاموس أكسفورد بأنها: هي لغة الاتصال المشتركة والتي تستخدم بين الأشخاص الذين تختلف لغاتهم الرئيسة (Oxford, 2020).
- كما عرفها قاموس كامبردج بأنها: اللغة التي تستخدم للتواصل بين مجموعات من الناس الذين يتحدثون لغات مختلفة (Cambridge, 2020).

وبناء على ما سبق يعرف الباحثان اللغة التجسيرية بأنها: اللغة المبسَّطة المشتركة التي يستخدمها الأفراد الذين يتكلمون مستويات أو لغات متباينة؛ للتواصل فيما بينهم، وذلك من خلال إيجاد تقاطعات لغوية وثقافية مشتركة بين هذه المستويات اللغوية والثقافية المتباينة؛ بهدف الوصول إلى الفهم اللغوي المشترك على كافة الأصعدة والمستويات اللغوية والثقافية.

ويمكن توصيف اللغة التجسيرية بأنها:

- تقّرب بين الأفراد رغم اختلاف المستويات والطبقات اللغوية والثقافية.
- تبسط الاختلافات والفروقات اللغوية.
- اجتياز الحدود الجغرافية والربط بين شعوب الإقليم الواحد.
- السهولة والبساطة والشيوع.

بيان دوافع اللغة التجسيرية:

يمكن إبراز الدوافع والأسباب التي أدت إلى ظهور اللغة التجسيرية، والتي يظهرها الشكل التالي:

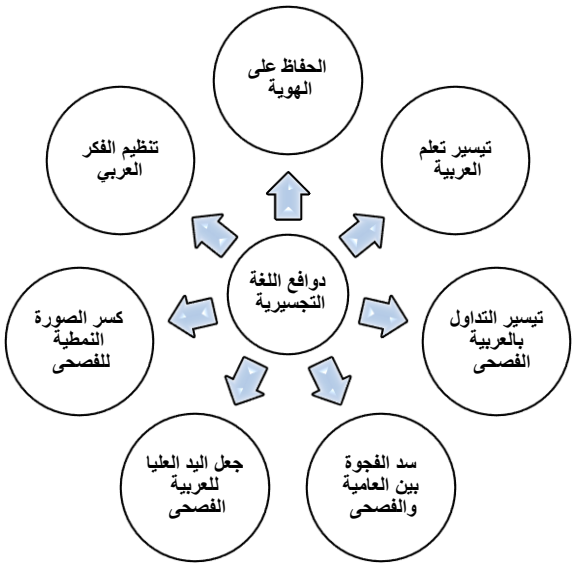

شكل رقم (5): دوافع اللغة التجسيرية

الحفاظ على الهوية:

تهدف اللغة التجسيرية الى الحفاظ على اللغة العربية الفصيحة، والعمل على استدامتها وإعادة إحياء استخدامها بين الأفراد، وكما نعرف بأن اللغة العربية الفصيحة لا تعتبر فقط لغة تواصل، بل إنها تحمل في طياتها الكثير؛ حيث تعد وعاء للثراث والثقافة العربية، وبالتالي فإن إحياءها يعد أساسا لحماية التراث والحفاظ على الهوية العربية.

تيسير تعليم العربية:

قد يجد البعض صعوبة في تعلم اللغة العربية الفصحى لأسباب عديدة، فصعوبة تعلّم النحو في اللغة العربية، حالة يعانيها الكثير من الدارسين أو القراء على حد سواء، وهي ليست ظاهرة جديدة، فقد برزت محاولات كثيرة للتقليل من تلك الصعوبة، إمّا من خلال اختصار الكتب النحوية، وإما من خلال تغيير طريقة تعليمها، أو من خلال حذف بعض الفقرات أو القوانين النحوية أو تعديلها (فاضل، 2018).

وهنا نجد أن استبدال اللغة الفصحى باللغة التجسيرية قد يؤدي إلى تسهيل وتيسير تعلم اللغة العربية؛ حيث إن اللغة التجسيرية تقلل من صعوبات تعلم اللغة العربية الفصحى بالحفاظ على جوهرها وتيسر تعليم القواعد النحوية عن طريق تعزيز ما يطابق الفصحى وتهميش ما يخالفها.

تيسير التداول بالعربية الفصيحة:

يكثر استخدام اللغة العربية الفصيحة في الخطب والمحافل الدينية والاجتماعية والسياسية، وإنه لمن الملاحَظ أن معظم هذه المداولات والخطابات يسهل فهمها عندما تكون قريبة من ثقافة ولهجة الأفراد الذين يستخدمونها، وبالتالي فإن استخدام اللغة التجسيرية سيزيد من تعزيز واستخدام العربية الفصيحة القريبة من لغة الإعلام ولغة المثقفين التي يفهمها معظم الناس؛ مما ييسرها على الآذان والأفهام في التداولات اليومية.

سد الفجوة بين العامية والفصحى:

تقوم اللغة التجسيرية بالتقريب بين اللغتين: الفصحى، والعامية، وذلك عن طريق إيجاد النقاط اللمشتركة بين اللغتين؛ لتعزيز قوة ونفوذ اللغة العربية الفصحى، والأخذ بيد العامية لترقى وترتفع إلى مستوى اللغة الفصيحة، فكلما قرَّبْنا الفجوة بين هذين المستويين اللغوين، وركزنا على اللغة البيضاء التي لا تهمل فصاحة ألفاظها وتراكيبها، كما لا تهمل بساطة ووضوح العامية المتقاطعة مع الفصحى؛ استطعنا ردم الفجوة بين العامية والفصحى.

جعل اليد العليا للعربية الفصحى:

عند سد الفجوة بين اللغتين: العامية، والفصحى؛ فإن ذلك يساعد في تيسير التداول بالعربية بمستواها الفصيح المتقاطع مع العامية، ومع تثبيت استخدام هذا المستوى لفترة من الزمان سيسهل الوصول إلى جعل اللغة الفصحى قريبة من الأذهان؛ بحيث تصبح هي اللغة المسيطرة بمفرداتها وقواعدها.

كسر الصورة النمطية للفصحى:

يعتقد البعض أن تعلم اللغة العربية أصعب من تعلم اللغات الأخرى لأسباب عديدة، منها الازدواجية اللغوية، حيث يتحدث الشخص مستويين لغويين مختلفين عن بعضهما البعض، وهذا ما يحدث في البلاد العربية (أراجيك، 2015)، كما تشكل الازدواجية معضلة في تعلم اللغة العربية والتداول بها مع غير العرب عندما يتعلمونها، فهم يتعلمون الفصحى، وإذا ما أقدموا على التحدث مع عربيّ؛ فإنهم يكتشفون أن العرب يتحدثون العربية بشكلها العامي وليس بالفصحى! وأن العامية تنقسم إلى لهجات متعددة، فنحن نتعلم في مدارسنا لغةً غير تلك التي نمارسها في حياتنا اليومية . وبالتالي فإن اللغة التجسيرية تقضي على هذه الازدواجية اللغوية، وذلك بتهميش ورفض كل ما هو دخيل والتركيز على اللغة العربية الأصيلة.

تنظيم الفكر العربي:

لقد اتهم بعض المتعصبين اللغة العربية بأنها تركز على الكم وليس الكيف؛ وذلك بسبب تنوع المفردات اللغوية، وغنى اللغة العربية بالمرادفات اللغوية، حيث قال البعض أن أصعب ما في اللغة العربية مفرداتها، فهي لغة غنية جداً بالكلمات، ومهما تعلّمت منها فلن تحصي كلماتها! كما أن الكلمة لا تقف عند معناها، لأن العربية هي أغنى لغات العالم بالمترادفات، فعندما تسمع كلمة (عسل) لا يخطر ببالك أن للعسل ثمانين اسماً في العربية! وللأسد خمسمئة! أما السيف فنصيبه من اللغة العربية أكثر من ألف اسم! (أراجيك، 2015)، هذا فضلاً عن المتضادات، والتثنية التي لا توجد في الإنجليزية، والجمع الذي لم يقتصر على جمع مذكر ومؤنث فقط، بل كسر القواعد أيضاً بجمع التكسير الذي لا تعرفه إلا العربية!

وإضافة إلى كل مشاكل الازدواجية التي ذكرت سابقاً، فقد اتهم البعض أيضاً الازدواجية في اللغة العربية أنها تؤثر في سيكولوجية ونفسية العرب، فاتهم "تشوبي إيلي" في مقالة بعنوان تأثير اللغة العربية على نفسية العرب" أنها تخلق عالمين افتراضيين: عالم المثال والذي يتمثل باللغة العربية الفصحى، وعالم الحقيقة والذي تمثله العامية (Shouby, 1951)

ويمكن الرد على هذه الادعاءات بأن الثراء والغنى، والتنوع، والقدرة على الاشتقاق، واتساع نطاق الجذور...، كل هذا لا يعني الصعوبة ولكن يسمى تفوقاً، وإلا فإن السهولة ستكون هي الضحالة والفقر اللغوي والعجز عن التعبير الدقيق وضيق النطاق المشمول باللغة (Shouby, 1951).

إن غنى اللغة وثراءها يساعد العقل على التفكير العميق، وطلاقة الأفكار، وسهولة صياغة في تراكيب لغوية محددة ودقيقة، كما أنها تمكن الإنسان من التعبير الدقيق عن أفكاره، وإيجاد حلول متنوعة للمشكلات التي تواجهه في حياته؛ مما يساعدة على إزاحة القلق اللغوي لديه، ويمنحه الراحة والطمأنينة النفسية.

تحديد مظاهر اللغة العربية التجسيرية في الإعلام:

أشار "الشمراني" في دراسته التي اهتمت بتحليل الخطاب في بعض المحطات التلفازية العربية إلى أن الإزدواجية موجودة في المحطات التلفازية العربية، وذلك بمستويها: المرتفع (H)، والمنخفض (L)، فقد تباينت الظروف التي تم فيها استخدام المستويين اختلافًا كبيرًا في القنوات المستهدفة؛ نظرًا لسياق المحطة التلفازية، والموضوع، وخلفية الضيوف، وقد تم استخدام المستوى المرتفع H بصور متنوعة في: الأخبار، والخطب الدينية، والبرامج السياسية، والمسلسلات التاريخية، والأفلام والأغاني العربية الفصيحة، ومن ناحية أخرى تم استخدام المستوى اللغوي L بصور متنوعة في: المسلسلات، والأفلام، والأغاني العامية، كما قد تناوب المذيعون والضيوف في مختلف البرامج بين الصنفين: H و L ، مما يستدعي البحث في الأسباب الكامنة وراء ذلك.

وتوصي الدراسة بضرورة إدماج برامج الأطفال التي تستخدم الصنف H في دورات رياض الأطفال والمدارس الابتدائية لمتعلمي اللغة الأولى والثانية والأجنبية، فمن

شأن برامج الأطفال أن توفر لهؤلاء الأطفال فرصًا مثيرة لاكتساب اللغة العربية الأدبية، كما توصي الدراسة بإدماج الصنف L في الأنشطة اللاصفية في برامج تعليم اللغة، فهذا من شأنه أن يسمح لمتعلمي اللغة الأجنبية واللغة الثانية بأن يكونوا قادرين على التواصل مع الناطقين باللغة العربية، أو على الأقل تحسين فهم اللغة العامية المحلية.

إن دمج الصنف L في الأنشطة اللاصفية أكثر ملاءمة للمتعلمين المتقدمين الذين أتقنوا اللغة العربية الفصحى بالفعل؛ لتسهيل الاتصال، وجعل برامج تعليم اللغة أكثر صلة بمتعلمي اللغة، ومن ناحية أخرى وبعد الارتفاع الكبير في مجموعة L ، يجب على صانعي السياسات زيادة مجموعة H في برامج المحطات التلفازية؛ لتجنب المزيد من التدهور في اللغة العربية الفصحى؛ لأن مثل هذه البرامج تؤثر بشكل كبير على أنواع مختلفة من المشاهدين (Alshamrani, 2012).

وقد قام الباحثان بتحليل لبعض القنوات والبرامج التلفازية، وقد لاحظا أن الإعلام يساعد في استخدام لغة تجسيرية تقرب بين المستويين (H) و (L)، والتي يمكن أن يُرمز إليها بـ (M)، والسبب في جنوح هذه القنوات إلى هذه اللغة التجسيرية التي يسهل فهمها من الجميع ما يلي:

- ❖ معظم ضيوف هذه البرامج من بلدان عربية مختلفة، يتحدثون لكنات وعاميات متباينة، ربما لا يفهما البعض.
- ❖ التباين الثقافي في مستوى جمهور المشاهدين لهذه البرامج.
- ❖ تباين المحتوى العلمي واللغوي المقدَّم في هذه البرامج.
- ❖ تنوع القضايا المطروحة للنقاش، ما بين: محلية، وإقليمية، وعالمية.

كل هذه الأسباب السابقة تدعو إلى إيجاد لغة تجسيرية، تقرب بين العاميات واللهجات المختلفة، وبين: العامية، والفصحى على حد سواء؛ ليسهل تداولها ومتابعتها وفهمها من الجميع، مع محاولة الارتقاء بالعاميات إلى اللغة الفصيحة على الأقل؛ والتي تيسر بدورها بعد ذلك الوصول إلى الفصحى وفهمها وممارستها.

ويمكن تحديد مظاهر اللغة العربية التجسيرية في الإعلام فيما يوضحه الشكل التالي:

شكل رقم (6): مظاهر اللغة العربية التجسيرية في الإعلام

عند مشاهدة الكثير من القنوات الإعلامية وتحليلها؛ سنجد أنها تستخدم اللغة التجسيرية في برامجها؛ حيث إن اللغة المستخدمة فيها تتسم بالكثير من سمات اللغة التجسيرية التالية:

1. **الشيوع:** وهو التركيز على اختيار المعنى الأشهر، والذي يتحلى بخصائص عديدة، حيث يكون سهل الفهم، شائع على الألسنة، يفهمه الجمهور، ليس على نطاق دولة بعينها، وليس محصوراً ببلد بعينها، ولكن على نطاق إقليمي واسع مع استبعاد المعاني الأخرى. فمثلاً كلمة "أخذ" تستخدم كلمة "تناول" وتستبعد معنى "شرع".
2. **بساطة التراكيب:** حيث تمتاز هذه اللغة بأنها سلسة بسيطة، وبالتالي فإنها سهلة التداول والفهم، كما وأنها لا تستخدم تراكيب طويلة يصعب فهمها.
3. **استخدام اللغة المشتركة:** تعتمد اللغة التجسيرية على استخدام اللغة الإقليمية المشتركة، والتي يفهمها متحدثو اللغة العربية على اختلاف لهجاتهم وأقاليمهم، ولا يجدون حرجاً في فهمها واستخدامها، والتي تعتبر اللغة العربية الفصحى أساساً في بنائها.
4. **التفصيح:** تحاول اللغة التجسيرية استخدام وإحياء بعض الكلمات الموجودة التي يعتبرها البعض من اللغة الدارجة، ولكنها أساساً كلمات فصيحة، مثل كلمة "شوي"، فهي تصغير لكلمة "شيء" بعد تسهيل الهمزة، كما أن اللغة التجسيرية

تستبدل الكلمات غير العربية بكلمات عربية، مثل كلمة "مذياع" بدلا من "راديو"، وكذلك "مكالمة هاتفية " بدلا من "مكالمة تلفونية"، كما أنها تحيي كلمات مثل "يستاهل" و"إمبارح" حيث إنها كلمات فصيحة.

بيان إمكانية إقامة منهج في ضوء اللغة العربية التجسيرية:

لكي يعتاد الطلاب على استخدام اللغة التجسيرية، يجب أن تُعنى المناهج التعليمية باستخدام هذه اللغة وبناء مناشطها اللغوية في ضوء معطيات هذه اللغة التجسيرية التي تقرب ما بين: العامية، والفصحة، وتجعل اللغة العربية سهلة على الأسماع والألسنة، وقد وضع الباحثان تصورا منهجيا لنموذج رباعي لإدخال وبناء برامج تعليم اللغة العربية في ضوء معطيات اللغة التجسيرية، ويمكن إبراز خطوات وملامح هذا النموذج الرباعي في الشكل التالي:

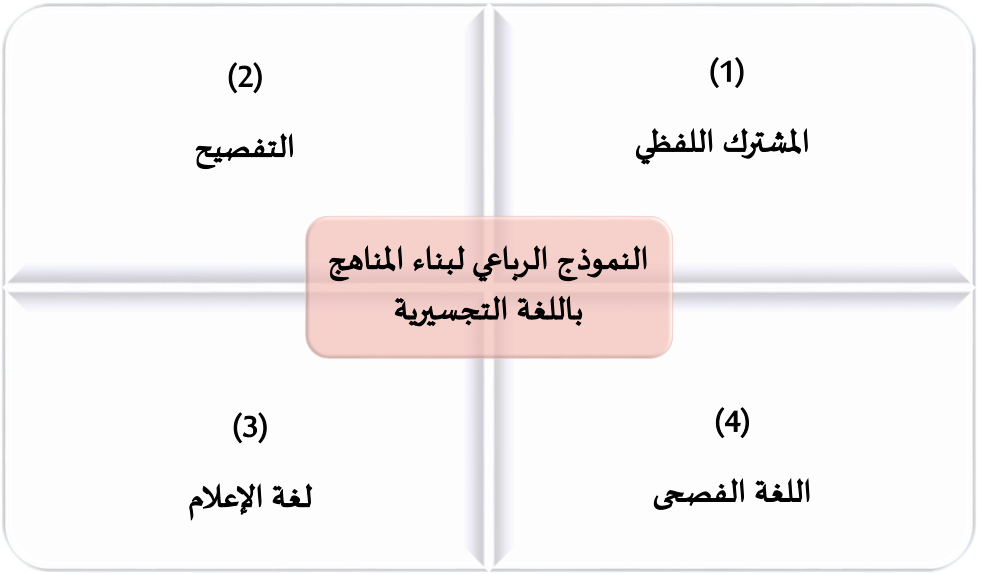

شكل رقم (7): النموذج الرباعي القائم على اللغة التجسيرية لبناء المناهج التعليمية

المرحلة الأولى:

الانطلاق في بناء مناهج تعليم اللغة العربية بما هو مشترك ما بين العامية والفصحى لإعداد الدروس في ضوئها، حيث يتم التركيز في إعداد الدروس على الألفاظ الفصيحة المستخدمة في العامية والفصحى على حد سواء، حيث إن هناك العديد من

الأفاظ المستخدمة في العامية هي فصيحة، ولكن تم تهميشها ولم تستخدم في مناهج تعليم العربية؛ ظنا أنها ألفاظ عامية، وليست فصيحة، ومن الأمثلة البارزة على ذلك:

- أورّيك: يقولون : أورّيه نجوم الظهر، أو أورّيه المكان، وهي فصيحة، فقد ورد في القرآن الكريم (سأوريكم آياتي فلا تستعجلون) الأنبياء 37.
- إيش؟ يقولون ايش جابك ؟ بمعنى أي شيء جاء بك ؟ وهي فصيحة، فإن إيش من النحت المسموع جاء فى (شفاء الغليل) إيش؟ بمعنى أى شىء؟ فخففت وسمعت عن العرب، إلا إننا نصرُّ على استخدام مصطلح (أي شيء) وإهمال (ليش) تماما، و:انها ورم سرطاني في جسم اللغة، وذلك رغم شيوع كلمة "ليش".
- امبارح : نقول قابلته امبارح صباحا، ونعني أمس أو البارح أو البارحة، وهي فصيحة، فإبدال اللام ميما فى لغة حمير من أهل اليمن قائم ومستخدم.
- كلمة(استفرغ) ويتم عادة استبدالها بكلمة تقيأ.
- كلمة (يستاهل) بتسهيل الهمزة، ويتم عادة استبدالها بكلمة يستحق.

فالفكرة الأساسية هو البدء باستخدام هذه الكلمات العامية الفصيحة كمرحلة أولى في تعليم اللغة العربية، إذ أنها مألوفة وتُسمع كل يوم؛ بما لا يشعر الطالب بالغربة والانفصام اللغوي، حيث يكون من السهل على متعلم اللغة العربية استخدام هذه الكلمات التي يسمعها من حوله طوال الوقت، والتي سيكون من السهل عليه حفظها واستخدامها، فَلِمَ نصرُّ على تركها واستبدالها بكلمات لم تألفها الآذان في اللغة المحكية.

المرحلة الثانية:

إدخال الكلمات الموجودة في العامية، والتي هي أصولها فصيحة، ولكنها حُرفت عند استخدامها في العامية، حيث نقوم بتفصيحها، ونعيد استخدامها مرّة أخرى، فهناك الكثير من الكلمات في العامية هي فصيحة ولكنها حرفت، واستهجنها الناس ظنا منهم أنها خارجة عن الفصحى، ومن أمثلة ذلك:

- الفعل الماضي (فَعَلَ)، (فَعِلَ)،(فَعُلَ) ولكن في بعض العاميات يغيب وزن (فَعِلَ) ليحل محلّه (فِعِل)، مثل: سَمِع، ضَحِك، فَهِم، فإنها تتحول إلى: سِمِع، ضِحِك، فِهِم.
- استبدال(فَعُل) بوزن (فِعِل) أو(فُعُل)، فبدلا من استخدام (صَعُب) يتم استخدام (صُعُب) أو (صِعِب).
- إعلال الماضي المضعّف، مثل استبدال قصّيت بقصصت، خصّيته من خصصته، مرّيت عليه من مررت عليه.
- بعض الكلمات التي تشوهت من خلال تطور اللغة، مثل: (جطة =قطة) (أجى =جاء)؛

فعندما نقوم بتأسيس المناهج نقوم باختيارهذه الكلمات وتفصيحها، وإدراجها في مناهج تعليم العربية.

المرحلة الثالثة:

استخدام عربية الإعلام "اللغة الفصيحة": وهي لغة إقليمية يفهمها معظم العرب تعتمد على مبدأ الشيوع والبساطة والوضوح، ويظهر تأثير اللغة الفصحى في تركيبة الجمل والمفردات والأصوات، ولكن يظهر بها أثر اللهجة وبعض الكلمات العامية، ولكنها تتجه عامة نحو الفصحى.

وهذا المستوى اللغوي سيكون له نصيب الأسد من اللغة المستخدمة في مناهج تعليم اللغة العربية في ضوء اللغة التجسيرية لما يلي:

- ألفة المتعلم لكل ما يسمعه أو يتعلمه في الشارع أو في المدرسة أو في وسائل الإعلام.
- عدم شعور المتعلم بالتناقض بين ما يسمعه وما يتعلم من لغة.
- وضوح هذه اللغة وسهولة نشرها وتعلمه.
- هذا المستوى هو لغة تجسيرية ما بين العامية والفصحى.

المرحلة الرابعة:

استخدام اللغة الفصحى: وفي هذه المرحلة ننطلق إلى فصحى التراث، فقد تمكن متعلم اللغة في المراحل السابقة من اللغة بدرجة تؤهله لدراسة اللغة الفصحى بشكلها الراقي.

نتائج البحث:

1. يمكن إيجاد لغة تجسيرية شائعة ومألوفة على الآذان تسد الفجوة ما بين العامية والفصحى، واستثمارها في صناعة المناهج؛ حيث تكون مرجعيتها اللغة الفصيحة، ولغة الإعلام الراقي، ولغة المثقفين.
2. إمكانية وضع تصور مقترح لبناء مناهج اللغة العربية في ضوء معطيات اللغة التجسيرية في ضوء إجراءات الدراسة سالفة الذكر.
3. تساعد اللغة التجسيرية على سهولة تعلم اللغة العربية وعدم شعور المتعلم بالغربة والانفصام اللغوي ما بين العامية والفصحى.
4. تسهم اللغة التجسيرية في سرعة التفكيروالإبداع باللغة؛ إذ أن الكلمات تحضر إلى ذهن المتعلم بسرعة ودون تفكير، دون صعوبة في استحضار الكلمات إلى ذهنه، وعدم الحاجة إلى جهد كبير في بناء الرموز اللغوية التي يحتاجها متعلم اللغة في تواصله اللغوي.

توصيات البحث:

يوصي البحث الحالي بما يلي:

1- استخدام النموذج الرباعي القائم على اللغة التجسيرية الذي قدمته الدراسة الحالية في إعداد مناهج تعليم اللغة العربية، وذلك حسب التدرج الذي قدمه هذا النموذج الراباعي.

2- ربط لغة التعليم باللغة التي يسمعها الطالب ويستخدمها في المواقف المختلفة؛ بما يساعد على الارتقاء بلغة الطالب، ويقرب الفجوة بين: العامية، والفصحى.
3- إتاحة فرص الممارسة اللغوية للطلاب مع تفصيح الكلمات المستخدمة في العامية لكن أصولها فصيحة؛ بحيث نزيد الرصيد اللغوي للطلاب من اللغة الفصيحة من خلال ما يسمعه الطالب ويمارسه يوميا.

4- الاستفادة من لغة الإعلام في بناء المسارد اللغوية التي تعتمد عليها المناهج في دروسها ومحتوياتها التعليمية.
5- التدرج في اللغة المقدمة للطلاب في المناهج التعليمية، بحيث تأخذ بيد الطالب إلى استخدام اللغة الفصحى خطوة خطوة.
6- التأكيد على المعلمين بصفة عامة، ومعلمي اللغة العربية بصفة خاصة باستخدام اللغة العربية الفصيحة في أثناء خطاباتهم الصفية.

مقترحات البحث:

يقترح البحث الحالي ما يلي:

1- تحليل محتوى مناهج اللغة العربية في ضوء النموذج الرباعي القائم على اللغة التجسيرية في بناء البرامج التعليمية.
2- تحليل الخطاب الصفي للمعلمين في ضوء معطيات اللغة التجسيرية.
3- وضع تصور مقترح لبرنامج لغوي تعليمي قائم على معايير تحقق اللغة التجسيرية؛ بما يقرب الفجوة بين: العامية، والفصحى.
4- دراسة تحليلية موسعة لبعض القنوات الإعلامية "تلفازية- إذاعية" والاستفادة منها في تعليم اللغة العربية للعرب أو لغير العرب.
5- تحليل الخطاب الصفي المستخدم بين الطلاب؛ ومن ثم وضع برنامج تدريبي للارتقاء بلغة الطلاب؛ وصولا بلغتهم إلى لغة المثقفين أو لغة الإعلام.

المراجع

إبراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل "العلوم الإنسانية والإدارية"**، المجلد الثالث، العدد الأول، 2002م، ص 68 .

زين الدين بن موسى: أنماط الصراع بين اللغة العربية والعاميات المعاصرة: العامية الجزائرية نموذجا، **مجلة جامعة منتوري. قسنطينة –الجزائر**، كلية الآداب، عدد 11،.2010.

عباس المصري وعماد أبو حسن، **الازدواجية اللغوية في اللغة العربية**، المجمع، العدد 8، 2014 2014المجمع، العدد 8 ، 2014.

عبد الرحمن القعود، **الإزدواج اللغوي في اللغة العربية، ومقالتان مترجمتان إحداهما: أثر اللغة العربية على نفسية العرب لشوبي والأخرى "الازدواج اللغوي لفرغيسون،** مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1997م، ص 48- 49، في:

فلوريان كولماس: اللغة والاقتصاد، **مجلة عالم المعرفة**، العدد 263، 2000.

محمد راجي الزغول: ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني "السنة الثالثة"،** العدد المزدوج 8 ،1980.

موقع مقالات إسلم ويب، مقال بعنوان:" **الازدواجية اللغوية والمرض الثقافي**"، على الرابط الالكتروني:
https://www.islamweb.net/media/print.php?id=92521&id=92521

فاضل، عهد، 2018. **لماذا يعاني البعض صعوبة تعلّم النحو في اللغة العربية؟** www.alarabiya.net/ar/last-page/2018/12/29/لماذا-يعاني-البعض-صعوبة-تعلّم-النحو-في-اللغة-العربية؟

قنطرة. 2019. اللغة العربية في المركز الرابع عالميا كلغة أم وثاني أكثر لغة انتشارا في العالم. **https://ar.qantara.de/node/38312**

أراجيك (2015). اللغة العربية ...لهذه الأسباب صنّفت ضمن أصعب لغات العالم !. https://www.arageek.com/2015/07/29/why-does-arabic-one-of-the-most-diffcult-languages-to-learn.html

Alshamrani , Hassan. (2012). **Diglossia in Arabic TV stations. Journal of King Saud University- Languages and Translation.** (24). PP. 57- 69.

Shouby, Eli (1951),"The influence of the Arabic Language on Psychology of the Arabs", Middle East(11)Journal.

https://www.merriam-webster.com/dictionary/lingua%20franca

https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/lingua-franca

https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/lingua-franca